شاعر معاوية *

كعب بن جُعَيل التغلبي

شاعر من قدماء شعراء الإسلام ضاع شعره إلا قليلاً ، ولم يبق من أخباره إلا نتف يسيرة مبعثرة في كتب التاريخ والأدب ، مع أنه موصوف بالشهرة وبأنه (شاعر تغلب ، وشاعر معاوية ، وشاعر أهل الشام) في نزاع علي ومعاوية رضي الله عنهما . ذكره ابن سلام الجمحي في (طبقات الشعراء) — مع مثال من شعره وجعله رأس الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين — بعدة أسطر ، وكذلك ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » والمرزباني في « معجم الشعراء » والآمدي في « المؤتلف والمختلف » . ولم يفرد له صاحب « الأغاني » ترجمة بل أتى على ذكره عرضاً في أخبار الفرزدق والأخطل وغيرهما . وما ورد عنه في « خزانة الأدب » لعبد القادر البغدادي لا يشفي غلة .

ويغلب على الظن أن ديوان شعره ضاع منذ مئات السنين ، أو لم يجمع شعره في ديوان ؛ فلا أعرف من ذكر له ديواناً ممن يعنى بهذا الشأن كابن النديم في « الفهرست » وكاتب جلبي في « كشف الظنون » . لذلك لم يستشهد اللغويون بشعره إلا نادراً لضياع شعره قبل عصر التدوين . فلم أعثر في « لسان العرب » على شواهد من شعره إلا في أربع مواد (سوق) و (شرر) و (صعد) و (غهب) وقد ورد بعض شواهد هذه المواد

(*) محاضرة ألقاها الاستاذ خليل مردم بك في ردهة محاضرات المجمع العلمي العربي في ١٧ كانون الاول سنة ١٩٤٣ .

في مادة (حار) دون أن ينسب اليه . فهو بين الأدباء اليوم مغمور مغموط حقاً دون كثير من أقرانه الشعراء الإسلاميين .

وأوفى ترجمة له اطلعت عليها هي التي لا تزال مخطوطة في عالم ينتشر بعد من « تاريخ دمشق » للحافظ ابن عساكر المحفوظ في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، فلقد استفدت منها واستعنت بها كثيراً في هذا البحث ، كما وقفت على مختارات من شعره في ترجمة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وقرثع التغلبي في التاريخ نفسه ، على كثرة ما عانت في هذه المظان من تحريف جهلة النساخ وتصحيفهم .

قبيلته — ربيعة من أعظم بطون العرب العدنانية ، ومن ربيعة قبيلة تغلب التي ينتسب اليها كعب بن جعيل ؛ كانت بلادهم بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين وتعرف بديار ربيعة(١) وكانت النصرانية شائعة فيهم قبل الإسلام لمجاورتهم الروم . وقد أبلوا بلاء حسناً مع المسلمين في فتح العراق قبل أن يفتح المسلمون الجزيرة . ذكر الطبري أن مدداً من تغلب وهم نصارى بقيادة ابن مردى الفهر ، حاربوا الفرس مع المسلمين تحت راية المثنى بن حارثة في وقعة البويب سنة ثلاث عشرة ، وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم « نقاتل مع قومنا » وكان قائد الفرس مهران الهمذاني . فلما اشتد القتال قال المثنى لزعيم التغلبيين ابن مردى الفهر : « انك امرؤ عربي وان لم تكن على ديننا فاذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي » فاجابه ؛ وانجلت المعركة عن قتل مهران قتله غلام من التغلبيين نصراني واستوى على فرسه ثم انتمى :

« أنا الغلام التغلبي أنا قتلت المرزبان »(٢)

ولما فتح المسلمون الجزيرة سنة ثماني عشرة أيام عمر رضي الله عنه ،

(١) العبر لابن خلدون ٢-٣٠١ .
(٢) الطبري ٤ — ٧٤ .

لم يحملوا التغلبيين على الدخول في الإسلام ، بل دان به من دان منهم طوعاً ، ومن بقي منهم على النصرانية أبى أن يعطي الجزية حمية وانفة ، ورضي أن يعطي الصدقة مضاعفة حتى دخلوا جميعهم في الإسلام مع الزمن ، قال البلاذري في فتوح البلدان : (... فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، وقالوا : اما اذا لم تكن جزية كجزية الأعلاج فانا نرضى ونحفظ ديننا [1]) وهذه معاملة خص بها عمر بني تغلب دون غيرهم من العرب . وروى ابن عساكر عن سعيد بن العاص « قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : لولا اني سمعت من رسول الله ﷺ يقول : ان الله سيعز هذا الدين بنصارى من ربيعة على شاطيء الفرات ما تركت عربياً إلا قتلته أو يسلم[2] ».

وقد تألف معاوية عرب الجزيرة كما تألف عرب الشام منذ جمع له عثمان الجزيرة الى الشام ، فرتب ربيعة في ديارها [3] وكانت قبيلة تغلب مشايعة له ولمن أتى بعده من خلفاء بني أمية ، وكان هواها السياسي معهم في كل ما اقتحموه من العقبات والأحداث ، وشعر كعب بن جعيل — على قلة مابقي منه — يمثل هذه الحقائق كلها ، فهناك مدن الجزيرة وباديتها تعج بجموع تغلب من مسلمين ونصارى مستمسكين بعصبيتهم وناصرين إخوانهم الفاتحين على الفرس والروم .

نسبه وحياته : هو كعب بن جعيل بن قمير التغلبي ، وقد ساق الرواة والنسابون نسبه حتى بلغوا به تغلب بن وائل ، وذكروا أن اسم أمه ليلى وقد وردت نسبته في بعض كتب الأدب « الثعلبي[4] » بدل « التغلبي » اما تصحيفاً أو أنهم نسبوه الى « ثعلبة » أحد آبائه المذكورين في عمود نسبه .

نشأ كعب في بلاد تغلب بالجزيرة الفراتية في صدر الإسلام . وجعله

(١) فتوح البلدان البلاذري ص ١٩٠ .
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر للطبوع ٦ — ١٣٢ .
(٣) فتوح البلدان ص ١٨٦ .
(٤) كالعقد لابن عبد ربه ٢ — ٢١٠ وغيره .

بعضهم من الصحابة ، نقل ذلك ابن حجر العسقلاني في الإصابة [1] عن ابن فتحون ، ولكن الأكثر على أنه من الشعراء الإسلاميين . ولقد كان كعب شاعر تغلب قبل الأخطل والقطامي « وكان [2] لا يأتي منهم قوماً إلا أكرموه وضربوا له قبة حتى أنه كان تمد له حبال بين وتدين فتملأ له غنما ، فأتى في مالك بن جشم ففعلوا ذلك به ، فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها ، فسبه (رجل منهم اسمه) عتبة ورد الغنم الى موضعها ، فعاد وأخرجها وكعب ينظر اليه ، فقال : إن غلامكم هذا لأخطل ، والأخطل السفيه فغلب عليه ، ولج الهجاء بينهما فقال الأخطل فيه :

سميت كعباً بشر العظام ... وكان أبوك يسمى الجعل
وان محلك من وائل ... محل القراد من است الجمل

وأغري الأخطل وهو غلام حدث بهجاء كعب ليذكر بذلك ويقرن به « فقال له أبوه : أبغرزمتك تريد أن تقاوم ابن جعيل ؟ وضربه ، وجاء ابن جعيل على تفئة [3] ذلك ، فقال : من صاحب الكلام ؟ فقال أبوه لاتحفل به فانه غلام أخطل .

فقال له كعب : شاهد هذا الوجه غب الحمة

فقال الأخطل : فنال كعب بن جعيل أمه

فقال كعب ما اسم أمك ؟ قال ليلى ، قال أردت أن تعيذها باسم أمي ، قال لا أعاذها الله اذاً . فانصرف كعب ولج الهجاء بينهما » ولكن ماقاله كعب في الأخطل لم يصل الينا وانما وصل الينا ماقاله الاخطل فيه [4] .

ولعل في تصنيف أخبار كعب الأقدم فالأقدم معيناً على تصور ترجمته . فأقدم ماوصل الينا من أخباره اتصاله بسعيد بن العاص والي الكوفة لعثمان

(١) ج ٥ ص ٣٢١ .
(٢) الأغاني ٧ — ١٦٢ .
(٣) يقال أتيته على تفئة ذلك اي على حينه وزمانه .
(٤) انظر ديوان الأخطل ص ٢٨٨ و ٢٩٧ .

فقد كان يفد عليه ويمدحه ، ولما غزا سعيد طبرستان سنة ثلاثين ثم قفل الى الكوفة مدحه كعب بن جعيل فقال (١) :

فنعم الفتى إذ جال جيلان دونه ... وإذ هبطوا من دَسْتَبى ثم أبهرا (٢)
تعلم سعيد الخير أن مطيتي ... إذا هبطت أشفقت من أن تُعَقّرا
كأنك يوم الشعب ليث خفية (٣) ... تجرد من دون العرين وأصحرا (٤)
لسوس الذى ماساس قبلك واحد ... ثمانين ألفاً دارعين وحسرا

وقبل وقعة صفين حدث لكعب ما أقلقه وأزعجه بأهله عن الجزيرة ، وذلك أن الضحاك بن قيس الفهري عامل معاوية على الجزيرة (٥) استعمل رجلا من بني عبس على صدقات بني تغلب فخمس إبل كعب بن جعيل ، فتناقل الرواة قصيدة في هجاء الضحاك نسبت الى كعب ، فتوعده الضحاك ، فذعر كعب وتبرأ منها وأقسم أن قائلها خصم له اسمه سليم بن عبدة ، انتقاماً منه وحسداً له ، وتشفياً من الضحاك لانه وأخاه كانا واجدين عليه . فوكل الضحاك الأمر الى رجل من خواصه حقق فيه ، ودخل كعب على الضحاك عائذاً وأنشده قصيدة يتبرأ بها مما نسب اليه ، ويعتذر ويمدحه ، وكانت امرأة الضحاك خلف الستر تسمع ، فقالت له : « اقبل منه فوالله لو اعتذر بها الى الله عز وجل لقبل منه » أما القصيدة التي يتبرأ منها فهي هذه :(٦)

(١) الطبري ٥ — ٥٨ .
(٢) جيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان ، ودستبي : كورة كبيرة بين الري وهمذان ، وابهر : مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان . [ياقوت] .
(٣) الشعب : الطريق في الجبل ، والخفية : الغيضة الملتفة .
(٤) في الأصل : [تجرد من ليث العرين وأصحرا] ونظنه تصحيفاً الا أن تكون ليث بكسر اللام جمع أليث وهو الشجاع ولا يخلو ذلك من تعسف . وأصحر : برز الى الصحراء لايواريه شيء .
(٥) في [وقعة صفين] لنصر بن مزاحم ص ١٠ ان معاوية بعث الضحاك على الجزيرة سنة ست وثلاثين .
(٦) ترجمة كعب بن جعيل في تاريخ ابن عساكر المخطوط .

أرى إبلي أمست تحن كأنما ... تعاور أنبوباً أجش مثقبا
تبكي على دين ابن عفان بعدما ... تضاحك ضحاك بنا وتلعبا
تصير القميص فاحش عند بيته ... وشر (قريش (١)) في قريش مركبا
بنى لك قيس في قرى عربية ... من اللؤم بيتاً ثابت الاس (٢) ترتبا
وماترك العبسي من مربع لنا ... من الارض الاقد (جرى) فيه (أوكبا) (٣)
معاوي لم يفتح لنا باب مجرة ... (فنمضي) ولم يترك لنا (متغربا) (٤)
وكنت كباري اللحم بعد النحامه ... يركب حتى لم يجد متركبا
هم ضيعوا كتب النبي ومنهم النبي ومن يأمر بها (ان) (٥) يبيئا
وقد كان فرعون وهامان قبلكم ... (يدار) نعيم (حقبة) (٦) ثم عذبا

وأما القصيدة التي اعتذر بها الى الضحاك وأعجبت بها امرأته فهي هذه (٧):

أتاني وعيد لو أتى الفيل لم يقم ... له الفيل حتى يستخف ويرعدا
أتاني ودوني من نصيبين حاجب ... لسبعين برجا ذا ثماريخ (اكبدا) (٨)

(١) في الأصل [قيس] والتصحيح من محاضرات الراغب ١ — ١٦٧ .
(٢) الترتب : الشيء المقيم الثابت .
(٣) في الأصل : (... سرى فيه اركبا) .
(٤) في الأصل : (فيعطى ولم يترك لنا متربا) .
(٥) في الأصل : « ان » .
(٦) في الأصل : « بدنعيم حقته » .
(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة كعب بن جعيل « مخطوط » .
(٨) في الأصل « اكردا » ولا معنى له . و « الأكبد » من كل شيء الضخم الغليظ العظيم الوسط يقال برج أكبد وحصن أكبد وربما حذفوا الموصوف واراد وا بالأكبد الحصن قال الأخطل :

رأوا ثغراً تحيط به المنايا ... وأكبد مايفيء الفيء

قال الشارح : الأكبد الحصن . ديوان الأخطل ص ٢٠٩ .

فكان لنا مابين (دارا)[1] و(عفزة)[2] ... الى الرقة السوداء[3] يوماً معرّدا
أأرمي بأقوال (الحُراق)[4] ولم يكن ... اذا قال مهدي السنان مسددا
فان كنت مقذوفاً بكل عظيمة ... حكاها خؤون كاذب ثم أقردا[5]
غدت من بني عبد وراحت عليهم ... وأصدر منها ابنا قُبير وأوردا[6]
فأحلف حتى تبلغ الله حلفتي ... لأبلغ عذراً من رضاك وأجهدا
بمن حج بيت الله من كل صارخ ... وشعث يسوقون الهدي المقلدا
إذا أعجبتهم سورة يقرؤونها ... لربك خروا راكعين وسجدا
لقد كنت عن شعر ابن عبدة (نابياً)[7] ... مكان الثريا من سهيل وأبعدا
فان قلت (ذماً)[8] آثراً أو بدأته ... ففارقت (حبي)[9] الوليد ومعبدا
ارى مدح أعراض الكرام وأتقي ... هجاء الملوك انه كان أنكدا
وقد علمت أشراف تغلب أنني ... بمدح قريش كنت أحظى وأسعدا
لعمرك للربعان[10] خير شهادة ... من النكس أن يدعو (دوادا) ليشهدا[11]

(١) في الأصل « دار » وهو تحريف و « دارا » بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين « ياقوت » .
(٢) في الأصل : « وقفرة » وهو تحريف وعفزة بلدة قديمة قرب الرقة على شاطئ الفرات . قال ياقوت في معجم البلدان : وهي الآن خراب .
(٣) الرقة السوداء : قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة وشربها من البليخ وهي غير الرقة البيضاء المدينة المشهورة على جانب الفرات الشرقي . واللطرد من الأيام : الطويل .
(٤) الحراق : من يفسد في كل شيء . وفي الأصل الخراق وهو تحريف .
(٥) أقرد : سكن وتداوت ولصق بالأرض .
(٦) يريد بني عبد الشاعر المنقري وإخوانه . وابنا قبير : كعب بن جعيل وأخوه عمير لأن جدهما قبير .
(٧) في الأصل : « نابياً » .
(٨) في الأصل : « ذمته » .
(٩) في الأصل : « حي » وهو تصحيف حيّ ولعل الوليد ومعبداً ولداه .
(١٠) من اسماء العرب [ربعان] قال في التاج : وقد سموا ربعان مثل سحبان .
(١١) في الأصل [جوادا] وقد اخترنا [دوادا] لانه باسمائهم أشبه .

وكانا كما سماها الله رابعا ... وعبدا نشدناه البيان فأنشدا
أجاز القتادي[1] الشهادة بعدما ... نبا نبوة خفناه أن يترددا

فاذا كانت سنة ست وثلاثين ووقع النزاع بين علي ومعاوية وانقسمت الأمة الى حزبين حزب أهل العراق وعلى رأسهم علي وشاعرهم النجاشي ، وحزب أهل الشام وعلى رأسهم معاوية وشاعرهم كعب بن جعيل ، اذ ذاك نرى كعباً يخب في تلك الغمرة ويضع ويرفع صوته بالدعوة لمعاوية ، ويحرض أهل الشام على المطالبة بدم عثمان ونصرة معاوية ، ويقول في ذلك قصيدة يبلغ من إعجاب معاوية بها أنه ختم بها كتاباً بعث به الى علي ، فكانت بمثابة قطع العلاقات وإعلان الحرب وهي هذه[2] :

أرى الشام تكره ملك العراق ... وأهل العراق لهم كارهونا
وكل لصاحبه مبغض ... يرى كل ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم ... ودناهم مثل ما يقرضونا
وقالوا علي إمام لنا ... فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا لنا ... فقلنا لهم لا نرى أن ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد ... وطعن وضرب يقر العيونا
وكلٌ يسر بما عنده ... يرى غث ما في يديه سمينا
وما في علي لمستعتب ... مقال سوى ضمه المحدثينا
وايثاره اليوم أهل الذنوب ... ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه زوى وجهه ... وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط ... ولا في التهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سره ... ولا يدمن بعض ذا أن يكونا

(١) قال ابن عساكر : القتادي رجل من بني قتادة وكان خلا بهؤلاء النفر الذين سماهم (كعب) في شعره فشهدوا شهد بعض لكعب وبعض لسالم .
(٢) الكامل للمبرد ص ١٨٤ والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ١٦٢ وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٥٨ وص ٢٥١ و ص ٢٥٢ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٣ .

فلما قرأ علي كتاب معاوية دعا النجاشي فقال له : ان ابن جعيل شاعر أهل الشام وأنت شاعر أهل العراق فأجب فقال النجاشي[1] :

دعن يامعاوي مالن يكونا ... فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم علي بأهل العراق ... وأهل الحجاز فما تصنعونا
على كل جرداء خيفانة ... وأشعث نهد يسر العيونا
عليها فوارس مخشية ... كأسد العرين حمين العرينا
يرون الطعان خلال المجاج ... وضرب القوانس في النقع دينا
هم هزموا الجمع جمع الزبير ... وطلحة والمعشر الناكثينا
وآلوا يميناً على حلفة ... لنهدي إلى الشام حرباً زبونا
تشيب النواصي قبل المشيب ... وتلقي الحوامل منها الجنينا
فان تكرهوا الملك ملك العراق ... فقد رضي القوم ما تكرهونا
فقولوا لكعب أخي وائل ... ومن جعل الغث يوماً سمينا
جعلتم علياً وأشياعه ... نظير ابن هند أما تستحونا
الى أفضل الناس بعد الرسول ... وصنو الرسول من العالمينا
وصهر الرسول ومن مثله ... إذا كان يوم يشيب القرونا

ولما وقعت الحرب في صفين بات ابن جعيل في إحدى تلك الليالي يرتجز وينشد[2] :

أصبحت الأمة في أمر عجب ... والملك مجموع غداً لمن غلب
أقول قولاً صادقاً غير كذب ... إن غداً تهلك أعلام العرب
غداً نلاقي ربنا فنحتسب ... غداً يصيرون رماداً قد ذهب
بعد الجمال والحياء والحسب ... يارب لا تشمت بنا ولا تصب
من خلع الأنداد طرا والصلب

(١) مصادر قصيدة كعب بن جعيل نفسها .
(٢) الطبري ج ٦ ص ٨ ووقعة صفين ص ١٦٢ والأخبار الطوال ص ١٨٢ وشرح نهج البلاغة ج ١ ص ٤٨٢ .

قال ابن جعيل يرثيه ويشير الى رفع أهل الشام المصاحف[1] :

ألا انما تبكي العيون لفارس ... بصفين أجلت خيله وهو واقف
تبدل من أسماء[2] اسياف وائل ... وكان فتى لو أخطأته المتالف
فأضحى عبيد الله بالقاع مسلما ... تميج دماً منه العروق النوازف
ينوء وتغشاه شآبيب من دم ... كما لاح في جيب القميص الكفائف
دعاهن[3] فاستسمعن من أين صوته ... فأقبلن شتى والعيون ذوارف
يحللن عنه زر درع حصينة ... وانكر منه بعد ذاك معارف
وقد صبرت حول ابن عم محمد ... لدى الموت شهباء المناكب شارف[4]
فما برحوا حتى رأى الله صبرهم ... وحتى أشرّت بالأكف المصاحف[5]
بهرج ترى الرايات فيه كأنها ... اذا جنحت للطعن طير عواكف
جزى الله قتلانا بصفين خيرما ... أثيب عباد غادرتها المواقف

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠ والأخبار الطوال ص ١٨١ وتاريخ ابن عساكر [مخطوط] ترجمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب ج ٥ ورقة ٥٤٧ — ٢ ووقعة صفين ٢١٣ و ص ٢٦٦ وشرح نهج البلاغة ج ١ ص ٤٩٨ و ج ٢ ص ٢٧٩ ومعجم البلدان في [صفين] .
(٢) هي اسماء بنت عطارد التيمي زوج عبيد الله بن عمر [شرح النهج لابن ابي الحديد ١ — ٤٩٨] .
(٣) الضمير في قوله دعاهن يرجع الى نساء عبيد الله وكان تحته اسماء بنت عطارد التميمي وبحرية بنت هانيء الشيباني وكان عبيد الله قد اخرجها معه الى الحرب ذلك اليوم لتنظر الى قتاله . « شرح النهج لابن ابي الحديد ١ — ٤٩٨ » .
(٤) يريد بـ (شهباء المناكب) كتيبة ، وجعلها شهباء للمناكب لما فيها من بياض السلاح . والشارف : الناقة المسنة ، واستعاره للكتيبة « عن شرح ادب الكاتب للجواليقي ص ٢٧٨ » ولهذا البيت رواية اخرى وردت في الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ١٨١ وهي :
وقد ضربت حول ابن عم نعينا ... من الموت شهباء المناكب شارف
(٥) أشرت : نشرت وأظهرت . قال ابن أبي الحديد : (هذا الشعر نظمه كعب بن جعيل بعد رفع المصاحف وتحكيم الحكمين) ... شرح النهج ١ — ٤٩٨ .

وقرت نعيم سعدها وربابها ... وخالفت الجعراء فيمن يخالف
معاوي لا تنهض بغير وثيقة ... فانك بعد اليوم بالذل عارف

وقال أيضاً يرثيه :(١)

يقول عبيد الله لما بدت له ... سحابة موت تقطر الحتف والدما
الا يالقوم اصبروا ان صبرنا ... أعف وأحجى عفة وتكرما
فلما تلاقى القوم خر مجدلا ... صريعاً فلاقى الترب كفيه والفما
وخلف أطفالاً يتامى أذلة ... وخلف عرسا تسكب الدمع أيما
حلال لها الخطاب لا تتقيهم ... وقد كان يحمى غيرة أن تكلما

ولقد كان كعب حريصاً على أن يظفر معاوية حرصاً حمله على مجاء أخيه عتبة بن أبي سفيان وتعييره بالفرار من إحدى معارك صفين ، ولم يبق مما قاله فيه إلا شطر واحد ذكره نصر بن مزاحم في وقعة صفين ص ٢٦٧ وهو :

« سميت عتاباً ولست بمعتب »

كما أنه لم يبق مما قاله في رجال همدان لما جدوا في القتال وقالوا : (ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت) إلا شطر ذكره الطبري في تاريخه ٦/١٢ وهو :

« وهمدان زرق تبتغي من تحالف »

ولما انتهى الفريقان الى التحكيم واجتمع الحكمان أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص وانجلى الأمر عما هو مشهور من دهاء عمرو وغفلة أبي موسى كاد ابن جميل يخرج من جلده طرباً وقد قال في ذلك :(٢)

وكان أبو موسى عشية أذرح(٣) يطوف بلقمان الحكيم يواربه

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٥ ورقة ٢/٥٤٧ (مخطوط) وشرح نهج البلاغة ١/٤٩٩ ووقعة صفين ص ٢١٤ .
(٢) شرح نهج البلاغة ١/١٩٩ ومعجم البلدان في (أذرح) .
(٣) أذرح : بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان وبأذرح الى الجرباء كان أمر الحكمين .

ولما تداروا(١) في تراث محمد ... سمت بابن هند في قريش مضاربه
سعى لابن عفان ليدرك ثاره ... وأولى عباد الله بالثأر طالبه
وقد غشيتنا في الزبير غضاضة ... وطلحة اذ قامت عليه نوادبه
فرد ابن هند ملكه في نصابه ... ومن غالب الأقدار فالله غالبه
وما لابن هند في لؤي بن غالب ... نظير وان جاشت عليه أقاربه
فهذاك ملك الشام واف سنامه ... وهذاك ملك القوم قد جب غاربه
يحاول عبدالله(٢) عمراً(٣) وانه ... ليضرب في بحر عريض مذاهبه
دحا دحوة في صدره فهوت به ... الى أسفل الجب (الشطون جواذبه)(٤)

ولما عاد معاوية الى دمشق معتبراً أن الأمر قد تم له ، كان كعب يغد عليه ويمدحه ، وكان معاوية حفياً به مكرماً له .

ومن شعره في معاوية هذه الأبيات التي رواها ابن عساكر(٥) وهي تشعر بمبلغ دالته على معاوية ، ويظهر أنها مع الابيات التي تقدمت من قصيدة واحدة :

وأبيض جني(٦) عليه (سموطه)(٧) ... من الانس في قصر منيف غواربه

(١) تدارأ القوم : تدافعوا في الخصومة واختلفوا .
(٢) هو ابو موسى الأشعري .
(٣) هو عمرو بن العاص .
(٤) في الأصل : « الظنون كواذبه » .
(٥) مخطوطة ابن عساكر ج ٧ ورقة ٥٣٢ .
(٦) يريد بالجني هنا المرأة الساحرة بحسنها ، على عادة العرب في تسمية كل شيء بارع الى الجن . قال أبو دهبل الجمحي ويروى لمحمد بن بشير الخارجي :

وانما قلبها المشتكي حجر ... وانما دلها سحر تصيد به
رمي القلوب بقوس مالها وتر ... جنية أولها جن يعلمها

قال ابو زكريا التبريزي : يعني أن فعلها مباين لفعل الانس وكذلك شكلها [شرح الحماسة للتبريزي ٣/١٦٦] . ومثله قول المقنع الكندي رواه الجاحظ في كتاب الحيوان ٦/٥٧

وفي الظمائن والأحداج أملح من ... حل العراق وحل الشام واليمنا
جنية من نساء الانس أحسن من ... شمس النهار وبدر الليل قد قرنا

وقال ابو العلاء المعري :

وقد كان أرباب الفصاحة كلما ... رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن

(٧) في الأصل : [شموطة] وهو تصحيف سموط وهي القلائد .

تدليته سقط الندى بعد هجعة ... فبت أمنيه المنى وأخاليه
بما ينزل (الأروى من الشعف العلى ... وما لو يسنّي حية) لان جانبه (١)
ندمت على شتم العشيرة بعدما ... مضى واستتبت للرواة مذاهبه
فأصبحت لا أستطيع رداً لما مضى ... كما لا يرد الدر في الضرع حالبه
معاوي أنصف تغلب ابنة وائل ... من الناس أودعها وحياً تضاربه
قليل على باب الأمير لباثق ... اذا رابني باب الأمير وحاجبه
ولما تداروا في تراث محمد ... سمت بابن هند في قريش مضاربه

قال ابن عساكر ويقول فيها :

قليتك فاهجرني(٢) فلا ود بيننا ... كذلك من يستغن يستغن صاحبه

ويروي ابو زيد البلخي في (كتاب البدء والتاريخ ٥/٢٣٥) بيتاً مما قاله كعب بن جعيل في تأهب الحسن بن علي ومعاوية للقتال بعد مقتل علي رضي الله عنهم :

من جسر منبج أضحى غب عاشرة ... في نخل مسكن تتلى حوله السور

وقد طلب يزيد بن معاوية اليه أن يهجو الانصار انتقاماً من عبد الرحمن ابن حسان الذي شبب باخته رملة ، فابى كعب تحرجاً وتأثماً وقال له : (أرادّي أنت في الشرك بعد الايمان ؟ أأهجو قوماً نصروا رسول الله ﷺ وآووه ؟ ولكني أدلك على غلام منا نصراني لايبالي أن يهجوهم كأن لسانه

(١) الأروي جمع أروية وهي تقع على الانثى والذكر من الوعل . والشعف : جمع شعفة وهي رأس الجبل . والعلى : جمع علياء . ويسني : اي يستخرج الحيات فيريقها ويرفق بها تخرج اليه قال العجاج :

بمنطق لو أنني أسني ... حيات هضب جثن أو لواني
أرقي به الأروى دون مني ... « لسان العرب »

وقد كان البيت محرفاً تحريفاً لايستقيم معه له معنى فقد ورد في الأصل هكذا :
بما ينزل الاورى من الشعف الطلى ... وما توسى حبه لان جانبه

(٢) في الأصل [فاهجري] .

لسان ثور . قال من هو ؟ قال الأخطل) (١) .

واتصل ابن جعيل في دمشق بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، كان مداحاً له نوّه بذكره وشاد بمآثر والده العظيم وبلائه الحسن في الفتوح ، ولما مات عبد الرحمن بحمص سنة ست وأربعين حزن عليه ورثاه . فمن شعره فيه قوله يمدحه (٢) .

أبوك الذي قاد الجيوش (مغرّبا (٣)) ... الى الروم لما (أعطت الخرج)(٣) فارس
وكم من فتى نبهته بعد هجعة ... بقرع اللجام وهو (البغ)(٤) ناعس
ومايستوي الصفان صف لخالد ... وصف عليه من دمشق البرانس(٥)
ولم يبق تحت الحزم الا أجنة ... ولا من هواديهن الا الكرادس

وله فيه أيضاً : (٦)

إني ورب النصارى في كنائسها ... والمسلمين إذا ما جمّعوا الجمعا
والقائم الليل بالانجيل يدرسه ... لله تسفح عيناه إذا ركعا
ومهراق دماء البُدن عندمنى ... لأشكرنّ لابن سيف الله ماصنعا
لما تهبطت من غبراء مظلمة ... سهلت منها باذن الله مطلعا
فقد نزلت اليه مفرداً وحَداً ... (كفرضة) النيل (تروي العدوتين) معا (٧)
أفضلت فضلاً عظيماً لست ناسيه ... كان له كل فضل بعده تبعا

(١) نقائض جرير والأخطل لأبي تمام ص ١٥٨ والكامل للمبرد ص ١٠١ والعقد لابن عبد ربه ٦ — ٦٩ والأغاني ١٧ — ١٤٧ على اختلاف في بعض الالفاظ في الكامل [أرادّي أنت الى الكفر بعد الاسلام ...] .
(٢) ابن عساكر ترجمة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ج ٥ ورقة ٢٩٣ [مخطوط] .
(٣) في الأصل : (معرفا) و (اعطب الحرج) .
(٤) الأليغ : من لايبين كلامه . وفي الأصل : « الثغ » .
(٥) البرنس هو قلنسوة طويلة وكل ثوب رأسه ملتزق به ، ويريد بالصف الذي عليه البرانس جيش الروم .
(٦) ابن عساكر ترجمة عبد الرحمن بن خالد .
(٧) في الأصل : [كعرض النيل يروي العداة معا] وهو تحريف منكر .

فرع أجاد هشام والوليد به ... بمثل ذلك ضرّ الله أو نفعا
من (مستنيري) قريش عند نسبتها ... (كالهبرزي اذا وازنته متعا) (١)
حفانه كحياض البئر مترعة ... اذا رآها اليماني رق واختضعا
لأجزينكم سعياً بسعيكم ... وهل يكلف ساع فوق ما (وسعا) (٢)

وقال يمدحه (٣)

اني والذي (أجار) (٤) بفضل ... يوسف (الحب(٤)) من بني يعقوب
والمصلين يوم خضب الهدايا ... بدم من نحورهن صبيب
لأصيبن كاشحيك من النا ... س (بوسم) على الانوف (علوب) (٥)
وأجدن كل يوم ثناء ... (يونق)(٦) الأذن من محل نسيب
كيف أنسى أيام جئتك فرداً ... مضمراً بشر (راغب مرغوب) (٧)
أخرق الجند والمدائن حتى ... صرت في منزل القريب الحبيب
عبد عبد الرحمن ذي الحسب العـ ... ـدّ ومأوى الضريك و (المحروب) (٨)

وقال معاوية يوماً لكعب بن جعيل بعد موت عبد الرحمن : ليس لشاعر عهد ، قد كان عبد الرحمن لك صديقاً ، فلما مات نسيته . فقال مافعلت ولقد قلت فيه بعد موته(٩) :

(١) الهبرزي : الدينار الجديد والذهب الخالص . وازنه : عادله وقابله . متع : جاء ورجح . وفي الأصل : (من مستبري ... كالهرمزي اذا واريته منعا) .
(٢) في الأصل : [زهرا يكلف ساع فوق ماوضعا] .
(٣) مخطوطة ابن عساكر ترجمة عبد الرحمن بن خالد .
(٤) في الأصل : [احار] و [الجب] .
(٥) في الاصل : (بوسيم) و (غلوب) .
(٦) في الاصل : (يوبق) .
(٧) في الاصل : (راغب مرهوب) .
(٨) في الاصل : (وللحروب) .
(٩) ابن عساكر ترجمة كعب بن جعيل ج ٧ ورقة ٥٣٢ وترجمة عبد الرحمن بن خالد ج ٥ ورقة ٢٩٢ — ٢ [وكلاهما مخطوط] والاصابة لابن حجر ٥ — ٦٨ .

ألا تبكي وما ظلمت قريش ... بإعوال البكاء على فناها
ولو سئلت دمشق وبعلبك ... وحمص من أباح لكم حماها
فسيف الله أوردها المنايا ... وهدّم حصنها وحوى قراها
وأنزلها معاوية بن حرب ... وكانت أرضه أرضاً سواها

ثم إذا كانت سنة خمسين نراه هو والحطيئة في مجلس صاحبه القديم سعيد بن العاص والي المدينة حينئذ ، ويدخل الفرزدق عائداً بسعيد من زياد ابن ابيه ، فاذا أنشد الفرزدق قصيدته التي يمدح بها سعيداً قال كعب بن جعيل : هذه والله الرؤيا التي رأيتها البارحة ، قال سعيد وما رأيت ؟ قال رأيت كأني في سكك المدينة فاذا أنا بابن قترة(١) أراد أن يتناولني فاتقيته . فيقول الحطيئة للفرزدق : أدركت من مضى ولا يدركك من بقي . فيقول كعب للحطيئة : فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك . فيقول الحطيئة : والله أفضله على نفسي وغيري (٢)

وكما رأينا كعب بن جعيل في الشام والحجاز نراه في العراق يقوم بالمربد في البصرة يقضي بين الشعراء ويفضل بعضهم على بعض . ورد في الأغاني ١٣١/٤ أن النابغة الجعدي وأوس بن مغراء اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجّاج والاخطل وكعب بن جعيل . . وقال كعب في ذلك :

إني لقاض قضاء سوف يتبعه ... من أم قصداً ولم يعدل الى أود
فصلا من القول تأتم القضاة به ... ولا أجور ولا أبني على أحد
(نالت) بنو عامر (جعداً(٣)) وشاعرها ... كما (تنيل) بنو عبس بني أسد

وقد ذكر عن النابغة أنه هاجى كعب بن جعيل فغلبه كعب . كما أن أبا جهمة الأسدي كان قد خص بني تغلب جميعاً بالهجاء فقال كعب ابن جعيل (٤) :

(١) ابن قترة : حية خبيثة .
(٢) الاغاني ١٩ — ٢١ و ٢١ — ١٢٧ .
(٣) في الاصل « سعداً » وسياق الكلام يقتضي ان يكون جعدا لان المقصود بالهجاء النابغة الجعدي .
(٤) ابن عساكر ج ٧ ورقة ٥٣٢ مخطوط .

بنا كثرت بنو أسد فيخشى ... لكثرتها و(ما[1]) عز الفليلُ
قبيلة تردد في (معد)[2] ... خدودهم أذل من السبيل
تمنى أن تكون أخا قريش ... (شحيج البغل)[3] يأذن للصهيل[4]

وقال كعب أيضاً:[5]

إذا احمرّ بأس الناس ألفيت شرهم ... بني أسد إني بما قلت عارفُ
أغاروا علينا يسرقون رحالنا ... وليس لنا في مرج صفين قائف

وتنقطع أخبار كعب بعد وفاة معاوية سنة ستين مع عظم الأحداث التي جرت بعده ، فلا نسمع صوته أيام يزيد ، ولا أيام مروان بن الحكم في وقعة مرج راهط سنة اربع وستين حيث أبلت بنو تغلب مع مروان بلاء حسناً . فاذا بويع عبد الملك بن مروان وقضى على مصعب بن الزبير سنة احدى وسبعين سمعنا كعب بن جعيل يقول فيه:[6]

أمير المؤمنين هدى ونور ... كما جلى دجى الظلم النهارُ
قريع بني أمية من قريش ... هم السر المهذب والنضار

ويروي ابن عساكر خبراً لكعب مع خليفة من بني أمية لم يسمّه وخلاصة الخبر : أن بعض خلفاء بني أمية سأل شاعراً من تغلب اسمه قرثع التغلبي عن شرف تغلب وعددها فيمن هما ؟ فقال في بني أوس بن تغلب — لانه منهم — فيقول له الخليفة أتقول هذا وكعب بن جعيل حاضر ؟ فيقول نعم . فاذا جاء كعب أعاد الخليفة سؤاله فاعاد قرثع جوابه ؛ فيغضب كعب — لأنه

(١) في الاصل : ولا .
(٢) في الاصل : معهد .
(٣) في الاصل : شحيح البعل .
(٤) وردت هذه الابيات في ديوان حسان بن ثابت منسوبة اليه بتغيير قليل ص ٩٠
(٥) ابن عساكر ج ٧ ورقة ٥٣٢ مخطوط .
(٦) انساب الاشراف للبلاذري ج ١١ ص ٢١٢ .

من بني غنم بن تغلب — وينال من بني الأوس بن تغلب وتقع بين الشاعرين مشارّة فيقول كعب[1] :

لعمرك ما السفاح مثل ابن خالد ... وما أنت من أبناء عمرو بن حيحل[2]
ومالك في عمرو وعمران مسكة ... ولا في الكناني الأغر المحجل
ومالك في آل الهذيل دعامة ... ولا في بني (حوط الحظائر)[3] فارحل
وما الأوس الا جعر خار بقرقر ... من الأرض يحبي جمعه غير معجل

ويقول ابن عساكر أن كعباً بقي حتى وفد على الوليد بن عبد الملك ومدحه ، والوليد بويع سنة ست وثمانين وتوفي سنة ست وتسعين . فكعب على ذلك من المعمرين . وكان له أخ شاعر أيضاً اسمه عمير[4] ولكنه لم ينل من الشهرة ما ناله كعب .

خصائص شعره : إن ما بقي من شعر كعب بن جعيل طائفة يسيرة ولكنها تحمل خصائص تستحق التدبر كأثر الموطن والمجتمع والزمان ، فقصيدته التي يعتذر بها إلى الضحاك بن قيس تدل دلالة واضحة على أن الشاعر من الجزيرة الفراتية بعد أن ذكر فيها اضطرابه بين نصيبين ودارا والرقة . وذلك أثر من آثار الموطن واضح غير عميق يتأثر به الشاعر وغير الشاعر . ولكن الاثر البليغ هو الذي يلون شعر الشاعر بطبيعة الموطن ويلهمه انتزاع تشبيهاته واستعاراته مما تقع عليه عينه . فهل من ذلك شيء في شعر كعب ؟

درج شعراء العرب على تشبيه الفتاة الحسناء بالغصن لاعتدال قامتها ونعومتها وتأودها ، وكثيراً ما يجعلون ذلك الغصن من البان ونابتاً في كثيب

(١) مخطوطة ابن عساكر ، ترجمة قرثع التغلبي ج ١٤ ورقة ٢٠٧—٢ .
(٢) كذا بالاصل ولعله حيهل .
(٣) في بالأصل : خرط الحصائر والتصحيح من كتاب الاشتقاق لابن دريد .
(٤) عمير بن جعيل ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٤٠ .

من الرمل ، ويكتون بكثيب الرمل عن عظم الارداف وارتجاجها ، والشواهد على ذلك كثيرة جداً . وهذا غير مستغرب من شاعر ينشأ في بوادي الحجاز أو نجد . أما كعب الناشيء في الجزيرة ذات الأنهار والغدران والظل والشجر ، فقد شبه الفتاة الناعمة المشوقة القوام بـ « صعدة نابتة في حائر » من الماء ، فعدل عن غصن البان على كثيب الرمل الى « الصعدة » وهي القناة النابتة في « حائر » والحائر المكان المطمئن يجتمع فيه الماء فيتحير ولا يخرج منه فقال :(١)

وضجيع قد تعللت به ... طيب أردانه غير تفل
في مكان ليس فيه برم ... وفراش متعال متمهل
فإذا قامت الى جاراتها ... لاحت الساق بخلخال زجل
وبمتنين إذا ما أدبرت ... كالعنانين ومرتج رهل
« صعدة نابتة في حائر » ... اينما الريح تميلها تمل

ولا يأتي بمثل هذا التشبيه الا من أقام بموطن مثل الجزيرة .

وكذلك نلفي في شعر كعب « القصور المنيفة الغوارب » و « البروج ذات الشماريخ » وذلك لكثرة ماوقع نظره عليه من قصور الروم وحصونهم وبروجهم وأسوارهم ، وما أقاموه في الجزيرة وعلى حدودها من المصانع والقلاع ، وفيما سبق إيراده من شعره شواهد على ذلك .

والمجتمع في شعره أثر ليس بدون أثر المكان ، فهو تغلبي متعصب لقبيلته شأن جميع شعراء العرب ، ويزيد على ذلك أن موقفه من قبيلته موقف يرينا الروح العربية تسع دينين في وقت واحد ، فهو وان كان مسلماً ، ينطق بلسان تغلب مسلمها ونصرانيها ، لان تغلب وقتئذ لم تدخل كلها في الاسلام ، ويحلف بالكنائس كما يقسم بالجوامع ، ويكرم دارس الانجيل كما يعظم قاريء القرآن :

(١) للمؤتلف والمختلف للآمدي ص ٨٤ وخزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٤٥٧ .

إني ورب النصارى في كنائسها ... والمسلمين إذا ماجمّعوا الجمعا
والقائم الليل بالانجيل يدرسه ... لله تسفح عيناه اذا ركعا
ومهراق دماء البدن عندمنى ... لأشكرن لابن سيف الله ماصنعا

ومثل هذا الروح السمح يستدعي الاعجاب ، والغريب أن أثر النصرانية في شعر كعب التغلبي المسلم أكثر ظهوراً منه في شعر الاخطل التغلبي النصراني .

كان كعب في زمن تلاحقت فيه عظام الحوادث سراعاً ، فقد أدرك الفتوح الاسلامية التي غيرت مجرى التاريخ ، وانتصار العرب على الفرس والروم ، وأدرك الفتن الداخلية كمقتل عثمان وما تلاه من الأحداث كوقعة الجمل ووقعة صفين التي شهدها كعب مع معاوية . وهو من الشعراء الذين ساهموا في الأمور العامة ، واندفعوا في معالجة الأمور السياسية ، فكان شاعر أهل الشام ولسانهم . فظهر على شعره خيلاء الفاتحين وكيد الساسة ومكر الدعاة . فاذا مدح عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أو رثاه نوّه بتغلغله في بلاد الروم ، وببطولة أبيه وظهوره على الفرس في العراق والروم في الشام . وما قاله في صفين من الشعر فيه دهاء وحسن تصرف ، فقد تفجع على عثمان ودعا الى المطالبة بدمه ، وجعل الشبه في دمه تحوم حول علي وأصحابه . قال ابن أبي الحديد في الموازنة بين قصيدة كعب وبين قصيدة النجاشي في خلاف علي ومعاوية وقد تقدم نقلها : « وأبيات كعب بن جعيل خير من هذه الأبيات — أبيات النجاشي — وأخبث مقصداً وأدهى وأحسن »(١) وقال في مكان آخر بعدما نقل قصيدة كعب : « وهذا شعر خبيث منكر ومقصد عميق(١) » .

واذا أضيف الى ذلك مايدور في شعره من الألفاظ الاسلامية كالنبي والحج وبيت الله والهدي والمصاحف والجمع والسوَر والركوع والسجود « وخلع الأنداد والصلب » وما الى ذلك وجدناه من أكثر الشعراء الاسلاميين تأثراً بالاسلام وحوادثه . وفي استنكافه عن مجاء الانصار تحرجاً وتأثماً وقوله

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٨ و ص ٢٥٢ .

ليزيد بن معاوية الذي طلب اليه ذلك ، أرادي أنت في الشرك بعد الايمان ؟ أأهجو قوماً نصروا رسول الله ؟ (١) ، دليل على مبلغ أثر الاسلام في نفسه .

أما أسلوبه فأسلوب أهل الصدر الأول جزالةً وسلامةً وعدم تعمل ، والحس والعاطفة في الافصاح عن المعاني أظهر من الخيال ، كقوله وهو مما تغنى به المغنون في القرن الأول :(٢) ولعل هذه الابيات من غزل القصيدة التي يمدح بها سعيد بن العاص انظر مجلة المجمع (م ١٩ ص ١٨) .

اذا امتشطت علوا لهـا بوسادة ... ومدت عسيب المتن أن يتعفرا
ثوت نصف شهر تحسب الشهر ليلة ... تناغي غزالاً ساجي الطرف أحورا
ترين حتى تسلب المرء عقله ... وحتى يحار الطرف فيها ويسكرا

وقوله يمدح : (٣)

لاينكثون الأرض عند سؤالهم ... لتطالب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لهم ... عند السؤال كأحسن الألوان

وقوله يهجو :(٤)

إذا راح في قوهية متأزرا ... فقل جرذ يستن في ابن محض
وتحسبه إن قام للشي قاعداً ... لقلة مقياسيه في الطول والعرض
فاقسمت لو خرت من أستك بيضة ... لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
فيا خلقة الشيطان أقصر فانما ... رأيتك أهلاً للعداوة والبغض

وقوله (٥) :

وغزانا شبّ في حمير ... نزل الحيرة من أهل عدن

(١) تقدمت الاشارة الى مصادر هذا النص .
(٢) الأغاني ج ٣ ص ٨٣ .
(٣) شرح مقامات الحريري للشريشي ج ٢ ص ٨١ .
(٤) ديوان المعاني ج ١ ص ٢١١ وعيون الأخبار ج ٤ ص ٥٥ وأمالي القالي ج ١ ص ٢٧٨ وشرح الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١٨٣ .
(٥) الطبري (٢ — ٢٨) وفي معجم البلدان في مادة (الحيرة) .
وغزانا تبـع من حمير ... نازل الحيرة من أرض عدن

وقوله في الرثاء :

برابية الثرثار(٢) قبر ترابه ... يضم الغمام الجود والشمس والبدرا
رأت تغلب الغلباء عند مصابه ... عيون الأعادي نحو أعينها خزرا
وودت نجوم الجو يوم حملته ... على النعش لو كانت بأجمعها قبرا
منافسةً منها عليه وضنةً ... على الترب أن يمحو المآثر والفخرا
وما بخلت عيناى بالدمع بعده ... على هالك إلا ذكرت لها عمرا

في البيتين الثالث والرابع معنى مبتكر بديع لم أره لغير هذا الشاعر من شعراء العرب ، والبيت الأخير من عيون الشعر وحر القريض ، أخذه ابو تمام الشيباني فقال وأحسن :

ما غاض دمعي عند نازلة ... إلا جعلتك للبكا سببا
فاذا ذكرتك ساعتك به ... مني الجفون ففاض والنكبا

(٢) الثرثار واد عظيم بالجزيرة يمد اذا كثرت الأمطار ، وهو في البرية بين سنجار وتكريت ، اختص باكثره بنو تغلب ، وتنصب اليه مياه من جبل الهرماس ، وكان للعرب بنواحيه وقائع مشهورة ولهم في ذكره أشعار كثيرة (معجم البلدان)